السيرة النبوية

الهجرة إلى الحبشة

إعداد

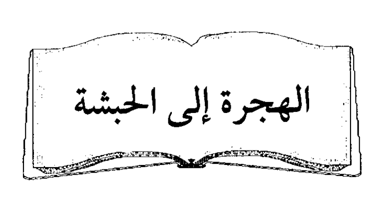
محمد عبده

مكتبة الإيمان بالمنصورة

الطبعة الأولى

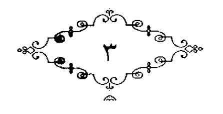
١٤٢٣ هـ ـ ٢٠٠٢م

مكتبة الإيمان
المنصورة - أمام جامعة الأزهر
ت : ٢٢٥٧٨٨٢



اشتد إيذاء أهل مكة لأتباع رسول الله ﷺ ، ومن صور هذا العذاب كان هناك عبد اسمه « أفلح » يملكه رجل قوى اسمه صفوان ابن أمية وكان صفوان على الكفر والضلال ، وعندما رأى إسلام أفلح ربطه من رجله وجرهُ حتى ألقاه فى مكان شديد الحرارة ، رمله يشوى الجسد ، وأخذ فى تعذيبه يضربه مرة ويخنقه أخرى.

ولم يكن هذا مع « أفلح» وفقط بل كان هناك عذاب أشد من ذلك فقد وضع أهل الكفر خيار المسلمين فى الصحراء ودفنوهم ووضعوا الحجارة على صدورهم وضربوهم وأحرقوهم بالنار حتى أن منهم من مات من شدة العذاب وعندما رأى رسول الله ﷺ ذلك عرض على أصحابه الهجرة ، فالهجرة هى الحل الوحيد لهؤلاء المستضعفين فى الأرض.



وعندها فرح الصحابة بهذا الرأى ، فالهجرة سترفع عنهم عذاب وإيذاء أهل قريش لهم ولكن الهجرة إلى أين ؟

احتار الصحابة إلى أين تكون الهجرة ؟ ، فأقبلوا على رسول الله ﷺ وسألوه .

فقالوا له : يا رسول الله إلى أين سنهاجر ؟

فقال رسول الله ﷺ : « لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن فيها ملكا لا يُظلم عنده حتى يجعل الله لكم فرجًا ومخرجا مما أنتم فيه».

وقبل المسلمون هذا العرض الكريم فخرجوا من مكة فرارًا بدينهم يريدون بلاد النجاشى « الحبشة » وذلك فى شهر رجب سنة خمس من البعثة وهي السنة الثانية من إظهار الدعوة والجهر بها .

*** الاستعداد للرحيل :**

المسلمون استعدوا للرحيل ، وتجمعوا من كل القبائل ، فالإسلام كان فى كل قبيلة من قبائل مكة ، نعم كان فى كل قبيلة رجل أو

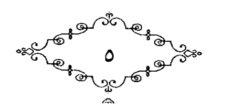
رجلان أو ربما أكثر .

وعند الهجرة استعد عثمان بن عفان - رضي الله عنه - وزوجته رقية بنت رسول الله ﷺ ، وعبد الرحمن بن عوف ، وعامر بن ربيعة وغيرهم ممن دخل الإسلام بيته وقلبه .

وحدث شيء غريب أثناء الاستعداد تحكيه لنا أم عبد الله بنت أبى حثمة .

قالت أم عبد الله : والله إنا لنستعد للرحيل إلى أرض الحبشة ، فذهب زوجى عامر لبعض حاجتنا ، إذ أقبل عمر بن الخطاب ووقف بجوارى وكان لا يزال مشركا « يعبد الأصنام » وكان شديدًا نلقى منه الأذى والشدة ولكن عندما رآنا نستعد للرحيل قال: إنه للانطلاق يا أم عبد الله .

قالت: نعم والله ، لنخرجن في أرض الله ، آذيتمونا وقهرتمونا ، حتي يجعل الله لنا مخرجا .



فقال عمر بن الخطاب صحبكم الله .

وهنا رأت أم عبد الله فى سيدنا عمر رقة شديدة وفيما يبدو أنه حزين على خروجهم .

فلما عاد زوجها عامر قالت له : يا أبا عبد الله، لو رأيت عمر ورقته وحزنه علينا .

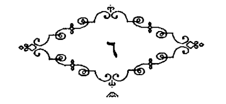
فقال لها : أطمعت في إسلامه ؟

قالت : نعم .

فقال عامر : فلا يسلم عمر حتي يسلم حماره.

تقول أم عبد الله كان ذلك يأسا من عمر لقسوته وغلظته علي من أسلم ، ولكنى استبشرت وأحسست باقتراب الإسلام من قلبه.

هذا هو الشيء الهام الذى حدث عند استعداد المسلمين للرحيل، البشرى باقتراب الإسلام من قلب عمر بن الخطاب أقوى رجال العرب.



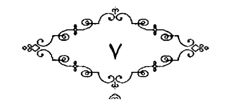
* النـزول إلى أرض الحبشة :

استعد الجميع للرحيل ، ثم رحلوا ، وعندما نزلوا الحبشة، وجدوا معاملة طيبة ، فالنجاشى كان رجلاً عادلاً لا يعرف الظلم وكانت ديانته المسيحية ولم يسمع المسلمون شيئًا يكرهونه ، ولكنهم عوملوا أحسن معاملة حتى حدث ما لم يتوقعوه .

لقد أرسلت قريش رجلين هما عمرو بن العاص وكان لا يزال على الكفر « يعبد الأصنام » ، وأرسلت معه عبد الله بن أبى ربيعة ، وأرسلت قريش مع الرجلين هدايا كثيرة ليلين لهما قلب النجاشى ويحدثاه فى أمر المسلمين عسى أن يهاجروا من أرضه أو يقتلهم عنده.

* الحيلة :

عندما جاء عمرو بن العاص بالهدايا ذهب إلى البطارقة أولاً والبطارقة هم أهل الدين المقربين إلى النجاشى ، وأعطى كل بطريق هدية ففرح البطارقة فرحًا شديدًا بهذه الهدايا .



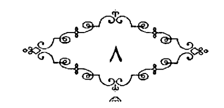
وعندما رأى عمرو بن العاص ذلك قال لهم : لقد أتى إلي بلدكم الطيبة هذه غلمان سفهاء ، فارقوا دين قومهم ، ولم يدخلوا فى دينكم ، وجاءوا بدين مبتدع لا نعرفه نحن ولا أنتم ، ولقد بعثنا أشراف قومنا إلى النجاشى حتي يردَّ معنا هؤلاء السفهاء ، فإذا كلمت الملك فيهم فساعدونى، وأشيروا عليه بأن يسلمهم إلينا ولا يكلمهم، فنحن أعلم وأدرى بهم وبحالهم.

فقال البطارقة : بالطبع سوف نساعدكم فنحن لا نرضي بجلوس هؤلاء السفهاء .

* الحديث مع النجاشى :

أقبل عمرو بن العاص ومعه الهدايا على النجاشى وقد قربه البطارقة وامتدحوه .

فقال عمرو بن العاص للنجاشى : أيها الملك لقد لجأ إلى بلدك غلمان سفهاء من قومنا ، فارقوا دين قومهم ولم يدخلوا فى دينك ،



وجاءوا بدين ابتدعوه لا نعرفه نحن ولا أنت ، وقد بعثنا إليك أشراف قومهم من آبائهم وأعمامهم وعشائرهم لتردهم إليهم.

فسمع النجاشى هذا الكلام ولم يرد ، فالكلام لم يعجبه فهو رجل عادل لابد وأن يسمع من الطرفين ، ولا يصدر حكما أبدًا بناء على قول طرف واحد.

وعندما رأي البطارقة ذلك سارعوا إلى النجاشى وقالوا له : أيها الملك إن هؤلاء المسلمين قومهم أعلم بهم فأرسلهم مع هذين الرجلين إلى قومهم حتى لا يحدثوا فتنة فى بلدنا.

وهنا غضب النجاشى غضبا شديد ثم صاح قائلاً:

قوم جاورونى ونزلوا بلادى ، واختارونى على من سواى، لعدلى وسماحتى ، أردهم إلى قومهم دون أن أتحدث إليهم وأعلم سبب طلبهم للجوار.

اسمعوا أيها الملأ أرسلوا إليهم ، واطلبوا منهم المجىء إلىَّ حتى

أحدثهم وأنظر بنفسى إلى أمرهم.

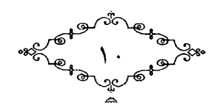
* الحوار الذى دار بين المهاجرين والنجاشى؟

أرسل النجاشى إلى أصحاب رسول الله ﷺ رسولاً ليدعوهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا ثم قال بعضهم لبعض : ما تقولون للرجل إذا جئتموه ؟

قالوا : نقول والله ما علمنا ، وما أمرنا به نبينا وليحدث ما يحدث.

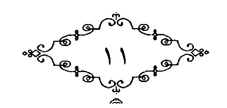
استعد النجاشى لمقابلتهم ، وجلس أساقفته ، ومعهم كتبهم ، ثم حضر المسلمون ، ودخلوا على النجاشى فقال لهم : ما هذا الدين الذى قد خالفتم فيه قومكم ولم تدخلوا فى دينى ، ولا فى دين أحد من هذه الملل ؟

فنظر المسلمون بعضهم إلى بعض ، ثم قال جعفر بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ « ابن عم رسول الله ﷺ : دعونى حتى



أرد عليه ولا ينطق أحد . فوافقوا .

فقال جعفر بن أبى طالب ـ رضى الله عنه : أيها الملك كنا قوما أهل جاهلية ، نعبد الأصنام ونأكل الميتة ، ونأتى الفواحش ، ونقطع الأرحام ، ونسيء الجوار ويأكل القوى منا الضعيف ، فكنا على ذلك حتى بَعَثَ الله إلينا رسولا منا ، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفته ، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده ، ونترك عبادة الحجارة والأوثان ، وأمرنا بصدق الحديث ، وأداء الأمانة ، وصلة الرحم ، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء ، ونهانا عن الفواحش ، وقول الزور ، وأكل مال اليتيم ، وقذف المحصنات ، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئا ، وأمرنا بالصلاة ، والزكاة ، والصيام ، فاتبعناه على ما جاء به من الله ، فعبدنا الله وحده ولم نشرك به شيئا، وحرمنا ما حرم علينا ، وأحللنا ما أحل لنا، فكره قومنا ذلك فعذبونا ، وقهرونا ليردونا إلى عبادة الأصنام ، ويأمرونا بترك عبادة



الله تعالى ، وأن نستحل الخبائث ، فخرجنا إلى بلادك واخترناك على من سواك ، ورغبنا فى جوارك ورجونا ، ألا نُظلم عندك أيها الملك .

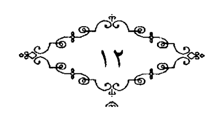
فقال النجاشى : هل معك مما جاء به عن الله من شىء؟

فقال جعفر ـ رضى الله عنه : نعم.

فقال النجاشى : فاقرأ على !

فقرأ جعفر بن أبى طالب ـ رضى الله عنه : ﴿ **كهيعص (١) ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا (٢) إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا (٥)** ﴾ [سورة مريم: ١ـ٥] .

وأتم جعفر بن أبى طالب قراءة جزء يسير من سورة مريم حتى امتلأت عين النجاشى بالدموع ، وكذلك بكى الأساقفة من حوله.



ثم قال النجاشى : إن هذا والذى جاء به عيسى ليخرج من مشكاة واحدة «أى مصباح واحد».

ثم قال لعمرو بن العاص : انطلق فلا والله لا أسلمهم إليك أبدا.

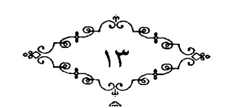
وخرج جعفر بن أبى طالب - رضى الله عنه - ومعه أهله وجماعته فرحين مما قاله النجاشى ، مستبشرين بما سيحدث فى هذه الأرض الطيبة .

* الحيلة الثانية لعمرو بن العاص :

اغتاظ عمرو بن العاص لما حدث ، وأصر على أن يوقع بين النجاشى وأهل الإسلام ، وقال لمن معه : عندى حيلة ستوقع بين النجاشى وبينهم .

فقال له عبد الله بن أبى ربيعة : وما هى ؟

قال عمرو : سأقول للنجاشي أن محمدًا ، ومن معه يزعمون أن



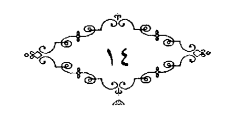
عيسي ابن مريم عبد .

فقال عبد الله : يا عمرو إن هذا قد يجعل النجاشى فى حالة من الغضب ربما تؤدى إلى قتل هؤلاء الناس وأن لهم أهلاً هم أهلنا أيضًا.

فقال عمرو : لا والله . . . سأفعل ما قلت لك . وفي اليوم الثانى ذهب عمرو بن العاص ، وطلب الدخول على النجاشى ، فأذن له النجاشى فى الدخول .

فقال عمرو بن العاص : أيها الملك إنهم يقولون فى عيسى ابن مريم قولا عظيما فأرسل إليهم فسلهم عما يقولون فيه.

فأرسل النجاشى إلي جعفر بن أبى طالب ـ رضى الله عنه ـ وإلى من معه وعندما اجتمع القوم قالوا : ماذا تقولون فى عيسي ابن مريم إذا سألكم عنه ؟ فأجابوا : نقول والله ما قال الله ، وما جاءنا به نبينا وليحدث ما يحدث!!



وعندما دخلوا على النجاشى وحيوه.

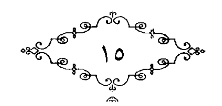
قال النجاشى : ماذا تقولون فى عيسى بن مريم ؟

فقال جعفر بن أبى طالب ـ رضى الله عنه : نقول فيه الذى جاءنا به نبينا ﷺ : هو عبد الله ، ورسوله ، وروحه ، وكلمته ألقاها إلي مريم العذراء البتول « أى الطاهرة التى لم تتزوج » فضرب النجاشى بيده إلى الأرض فأخذ منها عودا ، ثم قال: والله ما عدا عيسى ابن مريم ما قلت هذا العود « أى أن عيسى مخلوق لله ، وعبد له كما أن هذا العود مخلوق ».

ولم يعجب هذا الكلام البطارقة فقالوا: ما هذا ؟ .

فقال النجاشي :أكرموا هؤلاء القوم.

وبالفعل عاش المسلمون فى أمان وسلام عند النجاشي فى أرض الحبشة ، ولقد أسلم النجاشى ، وعندما علم رسول الله ﷺ بوفاته



جمع الناس وصلي عليه صلاة الجنازة ، واستغفر له الله.

فرحم الله النجاشى الملك العادل الذى لم يظلم ، وحكم الحبشة بالخير ، والسلام ، والعدل .

* * *



